العُدَّة

حاشية العلامة السيد محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني

على

إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام

للعلامة ابن دقيق العيد

الجزء الأول

الطبعة الأولى : ١٣٧٩هـ
(بنفقة جلالة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود)

الطبعة الثانية : ١٤٠٩هـ

(جميع حقوق النقل والتصوير محفوظه للناشر)

الناشر

المكتبة السلفية

٢١ شارع الفتح بالروضة ـــ القاهرة • تليفون ٨٤٠٣٦٤

التعريف بهذا الكتاب

إن أحاديث الأحكام التى قام عليها بنيان الفقه الاسلامى — بعد كتاب الله عز وجل — قد أفردها الأئمة بالتأليف . والمتداول منها فى أيدى الناس الآن ثلاثة كتب : كبير ، ومتوسط ، وصغير

فالكتاب الكبير فى أحاديث الأحكام هو كتاب (المنتقى) للامام مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحرّانى (٥٩٠ — ٦٥٢) جد شيخ الاسلام تقى الدين أحمد بن تيمية . تضمن خمسة آلاف حديث وتسعا وعشرين حديثا هى أدلة الفقه الاسلامى فى أقوم مذاهبه ، والمرجع الثانى بعد القرآن فى التشريع والقضاء وآداب المجتمع عند المسلمين . وكان قد ألف قبله كتاب (الاحكام الكبرى) فى عدة مجلدات ، ثم انتقى منه هـذا الكتاب النفيس . وقد شرحه القاضى محمد بن على الشوكانى (١١٧٣ — ١٢٥٠) بكتابه (نيل الاوطار) وأحاط فيه بأحاديث كل باب كإحاطة فتح البارى للحافظ ابن حجر بمثل ذلك فيما يتعلق بصحيح البخارى

والكتاب الأوسط فى أحاديث الأحكام هو كتاب (بلوغ المرام) للحافظ شهاب الدين أحمد بن على ابن حجر العسقلانى (٧٧٣ — ٨٥٢) تضمن ألف حديث وخمسمائة وستة وتسعين حديثا . وقد شرحه مؤلف هذه الحاشية علامة اليمن فى القرن الثانى عشر البدر السيد محمد بن اسماعيل الامير الحسنى الصنعانى (١٠٩٩ — ١١٨٢) بكتابه الشهير المسمى (سبل السلام) ، وقد عرف الناس منه غزارة علمه وسداد حكمه ، وسيرون ذلك وأكثر منه عند صدور حاشيته هذه التى سيأتى وصفها

أما الكتاب الثالث وهو أوجزها ، وأصحها وأقدمها ، فكتاب (العمدة) للامام حافظ الاسلام ، تقى الدين عبد الغنى بن عبد الواحد المقدسى الجماعيلى ثم الدمشقى (٥٤١ — ٦٠٠) ، وهو يشتمل على ٤١٩ حديثا من أعلى أنواع الصحيح ، مما اتفق على إخراجه الشيخان البخارى ومسلم فى صحيحيهما ، فكان كتابه هذا عمدة الأحكام

حقا ، وكان كتابا قريبا لطالب العلم المبتدئ والمتوسط ، ولا يستغنى عنه المنتهى والمتبحر ، لذلك كان جديرا بأن يحفظ ويقتنى

وقد كان من إخلاص مؤلف (العمدة) لله سبحانه فى جميع أعماله أن قيض لكتابه هذا شارحا وقف حياته - فى القرن السادس - على خدمة العلم الاسلامى حتى كان من صفوة أعلامه ، وهو الإمام تقى الدين محمد بن على بن وهب القشيرى المعروف بابن دقيق العيد ، الذى جمع بين التقدم فى معرفة علل الحديث وحسن الاستنباط للاحكام والمعانى الشرعية من مصادرها فى كتاب الله جل وعز وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، مع المشاركة فى جميع العلوم التى تتصل بذلك . وحسبُ ابن دقيق العيد بيانا لفضله شهادة شيخه العز بن عبد السلام له بأنه أحد رجلين تفتخر بهما الديار المصرية فيما بين الاسكندرية وأقصى الصعيد . ثم شهادة شيخ الاسلام ابن تيمية لكتابه (الامام ، الجامع لأحاديث الأحكام) وهو فى موضوع شرحه هذا لعمدة الحافظ عبد الغنى ، فقال عنه شيخ الاسلام « إنه كتاب الاسلام ، وإنه ما عمل أحد مثله ، ولا الحافظ الضياء ، ولا جدى أبو البركات » . فابن دقيق العيد الذى بلغ هذه المنزلة فى علم الأحكام وما تدور عليه من نصوص السنة ، كان من نعم الله على كتاب (العمدة) أن يكون هو القائم بشرحه ، فى سنوات نضوجه فى العلوم الاسلامية ، واستبحاره فى فقه السنة

وكان ظهور شرح ابن دقيق العيد للعمدة بطريقة الإملاء ، استملاه منه القاضى الوزير عماد الدين اسماعيل بن أحمد بن سعيد بن محمد بن الأثير الشافعى الحلبى المتوفى سنة ٦٩٩ ، فكان قاضى القضاة ابن دقيق العيد يشرح ويملى ، وتلميذه القاضى ابن الأثير يكتب ويستملى ، حتى خرجت هذه التحفة العلمية النفيسة فى التشريع الاسلامى للوجود

ثم كان من نعمة الله على (العمدة) للحافظ عبد الغنى وشرحها (إحكام الأحكام) لابن دقيق العيد أن قام بكتابة هذه الحاشية العظيمة عليهما علامة اليمن ، ومحيى علوم السنة المحمدية فيها ، السيد البدر محمد بن اسماعيل بن صلاح بن محمد الأمير الحسنى

الصنعانى ، شارح كتاب بلوغ المرام للحافظ ابن حجر بكتابه الشهير (سبل السلام) وهو فى موضوع هذه الحاشية ، وذلك دليل على طول اشتغال ابن الامير الصنعانى بالعلوم التى يقوم بها فقه السنة . وكتاب (سبل السلام) وإن كان هو الذى فاز بالسبق فى انتشاره بالطبع ، إلا أن هذه الحاشية كانت عند مؤلفها أعزّ كتابيه وأسبقهما بالعناية والتأليف ، فقد بدأ رحمه الله بالعناية بها فى سنة ١١٣٤ عندما حج للمرة الثالثة فقرأ شرح ابن دقيق العيد للعمدة على العلامة محمد بن أحمد الأسدى مفتى مكة المكرمة ، وشرع من ذلك الحين بتقييد تعليقاته عليها إلى أن أتمها ، ومضى فى دراساته المتنوعة ومؤلفاته الكثيرة ومنها سبل السلام ، حتى إذا كان هذا العلامة الكبير هو الحجة والمرجع فى فقه السنة لعلماء اليمن وطلابها اقترح عليه فريق من أعيانهم تدريس كتاب ابن دقيق العيد ، فكانت الفرصة سانحة بذلك لتجديد تأليف هذه الحاشية ، وأطلق فيها لسان البسط والتفصيل لما أجمله فيها عند تأليفها الأول ، فجاء من هذه الدراسة الجديدة هذا الكتاب العظيم

وكان من الغبن والخسار أن يحرم المشتغلون بفقه السنة من الاطلاع على هذه الحاشية النفيسة ، فكتب حضرة العلامة الجليل صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ عبد الملك بن ابراهيم آل الشيخ الرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف فى الحجاز الى بعض معارفه فى اليمن يطلب اليهم أن يبحثوا له عن مخطوطة منها وأن يعهدوا الى بعض النساخ باستنساخها . ولما وصل علم ذلك الى حضرة صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز حفظه الله أمر بأن يعم نفعها بالطبع ، فجزاهما الله خيرا عن العلم الاسلامى وأهله . والله الموفق

محب الدين الخطيب

ترجمة مؤلف العمدة

الإمام ، حافظ الإسلام ، تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي
أبو محمد الجماعيلي ثم الدمشقي

٥٤١ — ٦٠٠

عن تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي ، وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب
والبداية والنهاية للحافظ ابن كثير ، وشذرات الذهب لابن العماد ، ومعجم البلدان لياقوت

ملخصاً بقلم محب الدين الخطيب

هو الإمام الزاهد الصابر ، حافظ الاسلام ، وأحد الأعلام ، المجاهد لإحياء مذهب السلف وإرجاع المسلمين إليه ، أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور بن نافع ابن حسن بن جعفر الجماعيلي المقدسي

ولد في جمّاعيل من جبل نابلس في فلسطين — ردّ الله غربتها — في ربيع الآخر سنة ٥٤١ . ولما كان في الثامنة من عمره استولى الصليبيون على البلاد المباركة ، وكانت قبل ذلك في حكم الظافر العبيدي ، فما لبث أن هاجر منها الشيخ أبو العباس أحمد بن قدامة العمري المقدسي (٤٩١ — ٥٥٨) والد الإمام الموفق (٥٤١ — ٦٢٠) ، فرحل بالاسرة كلها فارّا بدينه وعزته الاسلامية الى دمشق بعد سنة ٥٥٠ ، وكان الحافظ عبد الغني أسنّ من ابني خالته موفق الدين عبد الله والشيخ أبي عمر بأربعه أشهر ، فنزلوا في دمشق في مسجد أبي صالح ظاهر الباب الشرقي ، ثم آذتهم رطوبة المياه في منطقة الباب الشرقي فانتقلوا بعد سنتين الى سفح قاسيون ، ولأن هذه الأسرة عرفت عند أهل دمشق بالصلاح والتقوى والعلم ، أو لأنها أقامت أولا في مسجد أبي صالح ، سميت البقعة التي نزلوها من سفح قاسيون بالصالحية ، ولا تزال تسمى بذلك الى الآن . وكانت تسمى قبلهم قرية الجبل

وكان الحافظ عبد الغني قد بدأ — وهو في جماعيل — بحفظ كتاب الله ، وتلقى مبادئ العلوم الاسلامية ، فلما استقرّوا في دمشق واصل دراسته إلى أن بلغ العشرين ، وأخذ في

خلال ذلك عن علماء دمشق ، منهم أبو المكارم عبد الواحد بن أبي طاهر محمد بن المسلم بن الحسن بن هلال الأزدي الدمشقي (المتوفى في جمادى الآخرة سنة ٥٦٥) ، وأبو عبد الله محمد بن حمزة بن أبي الصقر القرشي الشروطي الدمشقي (٤٧٩ — ٥٨٠) ، وأبو المعالي عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن علي بن صابر الدمشقي (٤٩٩ — ٥٧٦) وغيرهم

ومن لدات الحافظ عبد الغني في الدراسة في هذه الحقبة أخوه عماد الدين ابراهيم بن عبد الواحد (٥٤٣ — ٦١٤) وابن خالته شيخ الاسلام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة (٥٤١ — ٦٢٠) ، وكان أخو الموفق الشيخ أبو عمر (٥٢٨ — ٦٠٧) أكبر منهم . ورأس الاسرة الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن قدامة (والد الموفق والشيخ أبي عمر) من أهل العلم والصلاح ، وبتوجيهه الى العلم والخير كانوا يتوجهون . وكان الشيخ أبو العباس قبل هجرته الى دمشق خطيبَ جماعيل وعالمها وزاهدها ، وهو المعلم الأول لشباب هذا البيت الطيب قبل هجرتهم معه الى دمشق وبعدها

وفيما بين سنتي ٥٦٠ و ٥٦١ قام الحافظ برحلة علمية الى بغداد بصحبة ابن خالته الموفق ، وكانا في سن واحدة كما علمت . فقصدا أولا الشيخ الصالح العالم القدوة عبد القادر الجيلاني (٤٧١ — ٥٦١) ، قال الحافظ ابن كثير : فأنزلهما الشيخ عبد القادر عنده في المدرسة ، وكان لا يترك أحدا ينزل عنده ، ولكن توسم فيهما الخير والنجابة والصلاح فأكرمهما وأسمعهما ، فكانا يقرآن عليه كل يوم درسين ، فيقرأ الموفق من المغني ويقرأ الحافظ من الهداية . ثم توفي الشيخ بعد مقدمهما بخمسين ليلة رحمه الله . وكان ميل عبد الغني الى الحديث وأسماء الرجال ، وميل الموفق الى الفقه ، فاشتغلا على الشيخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي الصديقي (٥١٠ — ٥٩٧) ، وعلى شيخ الحنابلة فقيه العراق ناصح الاسلام أبي الفتح نصر بن فتيان بن مطر النهرواني الشهير بابن المنى (٥٠٤ — ٥٨٣) ، وعلى مسند العراق هبة الله الحسن بن هلال الدقاق (٤٧٢ — ٥٦٢) ، والشيخ المسند أبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سليمان المعروف بابن البطي البغدادي (٤٧٧ — ٥٦٤) ، وأبي بكر بن النقور عبد الله بن محمد بن أبي الحسين أحمد بن محمد البغدادي البزاز (٤٨٣ — ٥٦٥) ، وأبي زرعة طاهر ابن الحافظ محمد بن طاهر المقدسي ثم الهمذاني (٤٨١ — ٥٦٦) ، وأبي بكر أحمد بن المقرب الكرخي (٤٨٠ — ٥٦٣) . وكانت مدة طلبهما العلم في بغداد أربع سنين ، ثم عادا ، فدخل عبد الغني الى مصر والاسكندرية سنة ٥٦٦ وأقام فيهما مدة ، ثم عاد الى دمشق

ثم قام برحلة أخرى الى الاسكندرية سنة ٥٧٠ ، وأقام فيها على الحافظ أبي طاهر عماد الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم السلفي الاصبهاني (٤٧٢ — ٥٧٦) ويقدرون ما كتبه عنه في مدة ثلاث سنوات بنحو ألف جزء . روى الحافظ ضياء الدين المقدسي عن أبي الثناء محمود بن هبام قال : سمعت أبا عبد الله محمد بن أميرك الجويني المحدث يقول : ما سمعت السلفي يقول لأحد « الحافظ » إلا لعبد الغني المقدسي

ولما كان الحافظ عبد الغني في مصر في هذه المدة سمع من أبي محمد عبد الله بن برى النحوي (٤٩٩ — ٥٨٢) أحد أعلام العربية ، ومن علي بن هبة الله الكامل وغيرهما . ثم عاد الى دمشق

وقام بعد ذلك برحلة طويلة الى الجزيرة والعراق وإيران ، فأخذ في الموصل عن خطيبها أبي الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الطوسي ثم البغدادي (٤٨٧ — ٥٧٨) ، وفي همذان عن شيخ الاسلام الحافظ أبي العلاء محمد بن سهل العطار (٤٨٨ — ٥٦٩) ، وعبد الرزاق بن اسماعيل القومساني

ثم بلغ اصبهان فلقي فيها شيخ الاسلام الحافظ أبا موسى محمد بن أبي بكر بن عمر بن أحمد ابن عمر المديني الاصبهاني (٥٠١ — ٥٨١) ، والحافظ أبا سعد محمد بن عبد الواحد الصائغ الاصبهاني (المتوفى سنة ٥٨١) . وفي اصبهان حصل على الكتب الجيدة ، وكانت له فيها السيرة الحميدة ، والمكانة المرموقة ، بما رأوا من جليل عمله ، وعظيم تقواه . قال الحافظ عبد الغني : أضافني رجل باصبهان ، فلما قمنا الى الصلاة كان هناك رجل لم يصلّ ، فقيل هو من عباد الشمس ، فضاق صدري . ثم قمت بالليل أصلي والشمس يستمع ، فلما كان بعد أيام جاء إليّ الذي أضافني وقال : إن الشمس يريد أن يسلم ، فضيت اليه فأسلم ، وقال : من تلك الليلة لما سمعتك تقرأ القرآن وقع الاسلام في قلبي . قال الضياء المقدسي : سمعت محمود بن سلامة الحراني التاجر باصبهان يقول : كان الحافظ عبد الغني نازلا عندي باصبهان وما كان ينام من الليل إلا قليلا ، بل يصلي ويقرأ ويبكي الى السحر . وقال : كان الحافظ يخرج فيصطف الناس في السوق ينظرون إليه ، ولو أقام باصبهان مدة وأراد أن يملكها لملكها ، يعني من حبهم له ، ورغبتهم فيه . وقال الحافظ الضياء : سمعت شيخنا الحافظ عبد الغني يقول : كنت يوما باصبهان عند الحافظ أبي موسى ، فجرى بيني وبين أحد الحاضرين منازعة في حديث ، فقال هو : في صحيح البخاري ، فقلت : ليس هو فيه . فكتب الحديث في رقعة ورفعها الى الحافظ أبي موسى يسأله عنه ، فناولني الحافظ أبو موسى الرقعة وقال :

ما تقول ، هل هذا الحديث فى البخارى أم لا ؟ قلت : لا . فخجل الرجل وسكت

وفى اصبهان اطلع الحافظ عبد الغنى على كتاب الحافظ أبى نعيم المسمى (معرفة الصحابة) فألف كتابه (تبيين الإصابة ، لأوهام حصلت فى معرفة الصحابة) نقد به كتاب أبى نعيم فى مائة وتسعين موضعا . ثم اجتمع أعلام اصبهان وحفاظها فأملاه عليهم ، وكتب عليه شيخ الاسلام الحافظ أبو موسى المدينى ما نصه : « يقول أبو موسى عفا الله عنه : قلَّ من قدم علينا من الأصحاب من يفهم هذا الشأن كفهم الشيخ الامام ضياء الدين أبى محمد عبد الغنى بن عبد الواحد المقدسى ، زاده الله توفيقا . وقد وفق لتبيين هذه الغلطات ، ولو كان الدارقطنى وأمثاله فى الأحياء لصوبوا فعله ، وقل من يفهم فى زماننا ما فهم . زاده الله علما وتوفيقا » . ولكن بنى الخجندى فى اصبهان غضبوا من نقد الحافظ عبد الغنى لمفخرة بلدهم الحافظ أبى نعيم وثاروا عليه ، فاضطر الى أن يخرج من اصبهان مختفيا

ولما دخل فى طريقه الى الموصل سمع كتاب العقيلى فى الجرح والتعديل ، فثار عليه الحنفية بسبب ما فى هذا الكتاب عن أبى حنيفة ، فخرج منها أيضا خائفا يترقب

وواصل السير عائداً الى دمشق ، فتلقته بالبشر والحبور ، وأفاد شبابها من علمه الواسع ، وإيمانه القويم ، وسيرته الصالحة . قال الحافظ الضياء : كان شيخنا الحافظ لا يكاد أحد يسأله عن حديث إلا ذكره له وبينه ، وذكر صحته أو سقمه . ولا يسأل عن رجل من رجال الرواية والعلم إلا قال هو فلان ابن فلان ، ويذكر نسبه . قال الحافظ ابن رجب : وأنا أقول : كان الحافظ عبد الغنى المقدسى أمير المؤمنين فى الحديث . روى أبو طاهر بن اسماعيل بن ظفر النابلسى أن رجلا جاء الى الحافظ فقال : رجل حلف بالطلاق أنك تحفظ مائة ألف حديث . فقال : لو قال أكثر لصدق

قال الضياء : كان شيخنا الحافظ لا يكاد يضيع شيئا من زمانه بلا فائدة . كان يصلى الفجر ، ثم يلقن الناس القرآن ، وربما أقرأ شيئا من الحديث . ثم يقوم يتوضأ فيصلى ثلاثمائة ركعة بالفاتحة والمعوذتين الى قبل وقت الظهر ، ثم ينام نومة يسيرة الى وقت الظهر . ويشتغل بعد الصلاة إما بتسميع الحديث ، أو بالكتابة الى المغرب ، فان كان صائما أفطر بعد المغرب ، وإن كان مفطرا صلى من المغرب الى العشاء الآخرة ، ثم نام الى نصف الليل أو بعده ، ثم قام كأن انسانا يوقظه فيتوضأ ويصلى ، ثم يتوضأ ويصلى الى قرب الفجر ، وربما توضأ فى الليل سبع مرات أو ثمانيا أو أكثر ، ويقول : ما تطيب لى الصلاة إلا ما دامت أعضائى رطبة . ثم ينام نومة يسيرة الى الفجر . ولا يكاد يصلى صلاتين

مفروضتين بوضوء واحد

وفى يوم الجمعة كان يقرأ الحديث بعد صلاة الجمعة فى رواق الحنابلة من مسجد بنى أمية ، فيجتمع الناس عليه وإليه ، ويقرأ ليلة الخميس بمسجد دمشق أيضا فيجتمع خلق كثير . وكان رقيق القلب سريع الدمعة ، يقرأ ويبكى ، ويبكى الناس معه ، فحصل له القبول من الناس جدا ، ومن حضر مجلسه مرة لا يكاد يتركه . حتى حسده بنو الزكى والدولعى وفقهاء الشافعية وبعض الحنابلة ، وكان لذلك أثره فى الفتنة التى سنذكرها بعد

قال الضياء : وشاهدت الحافظ غير مرة بجامع دمشق يسأله بعض الحاضرين وهو على المنبر ، اقرأ لنا أحاديث من غير أجزاء ، فيقرأ الأحاديث بأسانيدها عن ظهر قلبه . وسئل : لم لا تقرأ الاحاديث من غير كتاب ؟ فقال : إنى أخاف العجب

قال الإمام الحافظ أبو اسحاق ابراهيم بن محمد العراقى : ما رأيت الحديث فى الشام كله إلا ببركة الحافظ عبد الغنى ، فان كل من سألته يقول : أول ما سمعت عليه ، وهو الذى حرضنى . وذكر جماعة من المحدثين

وكان الحافظ لا يرى منكرا إلا غيره بيده ، لا تأخذه فى الله لومة لائم . حدث أبو بكر بن أحمد الطحان قال : كان فى دولة الأفضل بن صلاح الدين قد جعلوا الملاهى على درج جيرون خارج الباب الشرقى من مسجد دمشق ، فجاء الحافظ فكسر شيئا كثيرا منها ، ثم جاء فصعد المنبر يقرأ الحديث ، فجاء اليه رسول من القاضى يأمره بالمشى اليه ، يقول : حتى يناظره فى الدف والشبابة . فقال الحافظ : ذلك عندى حرام . وقال : أنا لا أمشى إليه ، إن كان له حاجة فيجىء هو . ثم قرأ الحديث . فعاد الرسول فقال : يقول القاضى لا بد من المشى اليه ، أنت قد بطلت هذه الأشياء على السلطان . فقال الحافظ للرسول : ضرب الله رقبته ورقبة السلطان . قال : فمضى الرسول ، وخفنا أن تجرى فتنة . قال : فما جاء أحد بعد ذلك

وكان بعض أولاد صلاح الدين قد عملت لهم الطنابير وحملت اليهم ، وكانوا فى بعض البساتين يشربون . فلقى الحافظ الطنابير تحمل اليهم ، فكسرها ودخل المدينة . فلما خرج منها لحقه قوم بعصى ، وكان مع الحافظ رجل فلحقوا به ، فقال لهم : أنا ما كسرت شيئاً ، هذا الذى كسر (وأشار الى الحافظ) فاذا رجلى يركض فرسا فترجل عن الفرس وقبل يد الحافظ وقال : يا شيخ ، الصبيان ما عرفوك

قلنا : كان الحافظ يقرأ الحديث بمسجد دمشق ويجتمع الخلق عليه ويتنفعون بمجالسه ،

فوقع الحسد عليه من طلاب الدنيا كدأب أمثالهم فى كل زمان ومكان ، فشرعوا يعملون وقتا يجتمعون فى الجامع ويقرأ عليهم الحديث ليصرفوا الخلق عن مجلس الحافظ ، وكانوا يجمعون الناس من غير اختيارهم ، فهذا ينام ، وهذا قلبه غير حاضر . فأمروا الامام الناصح أبا الفرج عبد الرحمن بن نجم السعدى الواعظ الحنبلى (٥٥٤ — ٦٢٤) بأن يعظ تحت قبة النسر بعد صلاة الجمعة وقت جلوس الحافظ . فاتفق الحافظ والناصح أن يختلفا الوقت فيجلس الناصح بعد صلاة الجمعة ويجلس الحافظ بعد العصر . وفى إحدى الجمع دسوا رجلا ناقص العقل من بيت ابن عساكر فقال للناصح : إنك تقول الكذب على المنبر ، فضرب الناس ذلك الرجل ، وهرب فاختبأ فى الكلاسة ، وذهب مدبرو هذه المكايد الى الوالى وقالوا له : هؤلاء الحنابلة ما قصدهم إلا الفتنة ، واعتقادهم يخالف اعتقادنا . ثم جمعوا كبراءهم ومضوا الى الوالى فى القلعة وقالوا : نشتهى أن يحضر الحافظ عبد الغنى . قال الحافظ ضياء الدين المقدسى : وكان مشايخنا قد سمعوا بذلك فانحدروا الى دمشق ـ خالى الامام الموفق ، وأخى الإمام أبو العباس أحمد ، وجماعة الفقهاء ـ وقالوا للحافظ عبد الغنى : اقعد أنت لا تجئ فانك حاد ، ونحن نكفيك . فاتفق أنهم أرسلوا الى الحافظ من القلعة وحده فأخذوه ، ولم يعلم أصحابنا بذلك ، فناظروه ، وكان أجهلهم يغرى به ، فاحتد . وكانوا قد كتبوا شيئا من اعتقاداتهم وكتبوا خطوطهم فيه ، وقالوا له : اكتب خطك ، فلم يفعل ، فقالوا للوالى : الفقهاء كلهم قد اتفقوا على شىء وهو يخالفهم . وكان الوالى لا يفهم شيئا ، فاستأذنوه فى رفع منبره من مسجد دمشق ، فرفعوا ما فى الجامع من منبر للحافظ وخزانة ودرابزين وقالوا : نريد أن لا نجعل فى الجامع إلا صلاة أصحاب الشافعى ، وكسروا منبر الحافظ ومنعوه من الجلوس ، ومنعوا الحنابلة من الصلاة فى مقامهم فى الجامع . ثم ان الناصح ابن الحنبلى جمع السوقة وغيرهم وقال : إن لم يخلونا نصلى باختيارهم صلينا بغير اختيارهم . فبلغ ذلك القاضى ـ وكان هو صاحب الفتنة ـ فأذن لهم بالصلاة ، وخاف أن يصلى بغير إذنه . وكان الحنفية قد حموا مقصورتهم بالجند

ويقال إن المناظرة تناولت الاحتجاج لمذهب الخلف على مذهب السلف ، والدفاع عن مذهب التأويل ، وكان ذلك بحضور المعظم عيسى وصارم الدين برغش والى القلعة ، فلما ارتفعت الأصوات قال صارم الدين برغش للحافظ عبد الغنى : كل هؤلاء على ضلال وأنت على الحق ؟ قال : نعم

ثم ان الحافظ ضاق صدره ومضى الى بعلبك سنة ٥٩٥ فأقام بها مدة يقرأ الحديث ،

وكان الملك العادل فى بلاد الشرق ، فقال أهل بعلبك للحافظ : ان اشتهيت جئنا معك الى دمشق ، نؤذى من آذاك . فقال : لا . ثم توجه الى مصر ، وفى طريقه بقى مدة بنابلس يقرأ الحديث . ثم مضى الى مصر

وفى آخر ولاية العزيز أبى الفتح عثمان ابن السلطان صلاح الدين (أى فى آخر سنة ٥٩٤) جاء شاب من دمشق الى مصر يحمل فتاوى المخالفين من الذين أثاروا الفتنة على الحافظ ومعه كتب الى العزيز عثمان بأن الحنابلة يقولون كذا (مما يشنعون به ويفترونه عليهم) ، وكان العزيز عثمان يتأهب للخروج الى الاسكندرية ، فقال لحامل الفتاوى والرسائل : إذا رجعنا من هذه السفرة أخرجنا من بلادنا من يقول بهذه المقالة . واتفق أن العزيز عثمان عدا به الفرس وهو خلف الصيد فشب به وسقط عليه فخسف صدره ومات

وأرسلوا الى الأفضل بن صلاح الدين ـ وكان بصرخد ـ فجاء وأخذ مصر ، وذهب الى دمشق ، فلقى الحافظ فى الطريق ، فأكرمه إكراما كثيرا ، وبعث يوصى به فى مصر

ولما وصل الحافظ الى مصر (أى الفسطاط وجامع عمرو) تلقى بالبشر والإكرام ، ونزل فيها على تلاميذه آل الطحان ، وأقام بها يسمع الحديث بمواضع منها وبالقاهرة . قال الحافظ ضياء الدين : سمعت شيخنا أبا الحسن على بن نجا الواعظ بالقرافة يقول على المنبر : لقد جاء الإمام الحافظ ، وهو يريد أن يقرأ الحديث ، فأشتهى أن تحضروا مجلسه ثلاث مرات ، وبعدها أنتم تعرفونه . فجلس أول يوم ـ وكنت حاضرا ـ بجامع القرافة فقرأ أحاديث بأسانيدها عن ظهر قلبه ، وقرأ جزءا ، ففرح الناس بمجلسه فرحا كثيرا ، فقال ابن نجا : قد حصل الذى كنت أريده فى أول مجلس

قال الضياء : وسمعت بعض من حضر مجلسه بمصر (أى بالفسطاط) بمسجد المصنع يقول : إن الناس بكوا حتى غشى على بعضهم . وقال بعض المصريين : ما كنا إلا مثل الأموات حتى جاء الحافظ فأخرجنا من القبور

وفى مدة إقامته الأخيرة فى مصر حدثت المجاعة والغلاء سنة ٥٩٦ والتى بعدها ، فبعث الملك الأفضل الى الحافظ بنفقة وقمح كثير ، ففرق الجميع ، حكى ذلك سليمان الأشعرى . وكان يخرج فى الليل بقفاف الدقيق الى منازل أهل العفة والكفاف فيضع قفة الدقيق أمام الباب ويقرعه ، فاذا علم بأن أهله جاءوا ليفتحوا ترك ما معه ومضى لئلا يعرف . وحكى رجل أنه شاهد الحافظ بمصر يطوى على الجوع ثلاث ليال يؤثر غيره بعشائه

وهذه السيرة ، مضافا اليها ما بهر به الناس من علمه وإيمانه وعظيم تقواه ، جعل له فى نفوس المصريين مكانة لا يعلى عليها . قال الحافظ ضياء الدين : كنا بمصر نخرج معه للجمعة فلا نقدر نمشى معه من زحمة الناس يتبركون به ويجتمعون حوله

ثم جاء الملك العادل وأخذ مصر ، فأكثر المخالفون من التحامل عنده على الحافظ . قال الضياء : وسمعت أن بعضهم بذل فى قتل الحافظ خمسة آلاف دينار

وروى ابو محمد فضائل بن محمد بن على بن سرور المقدسى قال : سمعتهم يتحدثون بمصر ان الحافظ دخل على الملك العادل فلما رآه قام له ، فلما كان اليوم الثانى من دخوله عليه جاء الأمراء الى الحافظ فى الفسطاط وقالوا : آمنا بكرامتك يا حافظ ، إن العادل قال : ما خفت من أحد ما خفت من هذا . فقلنا : أيها الملك ، هذا رجل فقيه ، إيش خفت من هذا ؟ قال : لما دخل ما خيل إلى إلا أنه سبع يريد ان يأكلنى

قال الضياء : وقرات بخط الحافظ فى كتاب كتبه الى دمشق : والملك العادل اجتمعت به وما رأيت منه إلا الجميل ، فأقبل علىّ واكرمنى ، وقام لى والتزمنى ودعوت له . . الخ

ثم سافر العادل الى دمشق ، وبقى الحافظ فى مصر ، والمخالفون لا يتركون الكلام فيه . فلما أكثروا عزم الملك الكامل على إخراجه من مصر ، واعتقل فى دار سبع ليال فقال : ما وجدت راحة فى مصر مثل تلك الليالى

ويقول حفيده أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الغنى : حدثنى الشجاع بن أبى ذكرى الأمير قال : قال لى الملك الكامل يوما : ها هنا رجل فقيه قالوا إنه كافر . قلت : لا أعرفه . قال : بلى ، هو محدث . فقلت : لعله الحافظ عبد الغنى ؟ قال : نعم ، هذا هو . فقلت : أيها الملك ، العلماء أحدهم يطلب الآخرة ، والآخر يطلب الدنيا . وأنت ها هنا باب الدنيا ، فهذا الرجل هل جاء إليك ؟ أو أرسل اليك شفاعة ، أو رقعة يطلب منك شيئا ؟ قال : لا . فقلت : أيها الملك ، والله هؤلاء القوم يحسدونه ، فهل فى هذه البلاد أرفع منك ؟ قال : لا . فقلت : هذا الرجل أرفع العلماء ، كما أنت أرفع الناس ها هنا . فقال : جزاك الله خيرا

قال الأمير ابن أبى ذكرى : ثم إنى أرسلت رقعة الى الملك الكامل أوصيه بالحافظ ، فأرسل إلىّ : تجىء . فمضيت اليه ، وإذا عنده جماعة ، منهم شيخ الشيوخ - يعنى ابن حمويه - وعز الدين الزنجانى ، فقال لى الملك : نحن فى أمر الحافظ . فقلت : أيها الملك ،

القوم يحسدونه ، ثم بيننا هذا الشيخ ـ أعنى شيخ الشيوخ ـ وقلت : بحق كذا وكذا ، هل سمعت من الحافظ كلاما يخرج عن الاسلام ؟ فقال : لا والله ، ما سمعت عنه إلا كل جميل ، وما رأيته قط . ثم تكلم ابن الزنجانى فمدح الحافظ مدحا كثيرا ، ومدح تلاميذه ، وقال : أنا أعرفهم ، فما رأيت مثلهم . فقلت : وأنا أقول شيئا آخر . فقال : ما هو ؟ قلت : لا يصل إليه شيء يكرهه حتى يقتل من الأكراد ثلاثة آلاف . فقال : لا يؤذى الحافظ . فقلت : اكتب خطك بذلك . فكتب

وصدر الأمر من الملك الكامل الى الحافظ أن يكتب اعتقاده ، فكتب : أعتقد كذا لقول الله تعالى كذا ، وأقول كذا لقول رسول الله ﷺ كذا . . . حتى فرغ من المسائل التى يشنع بها المخالفون ، ويوغرون بها صدر الملك الكامل ، فلما وقف الملك الكامل على ما كتبه الحافظ قال : إيش فى هذا ؟ يقول بقول الله عز وجل ، وقول رسول الله ﷺ . وخلى عنه

ثم ثار عليه الفقهاء مرة أخرى وكتبوا الى الوزير صفى الدين بن شكر ، فأقر بنفيه الى المغرب ، فمات قبل وصول الكتاب

مؤلفاته :

الكمال فى معرفة الرجال (رجال الكتب الستة) . فى عشر مجلدات

المصباح ، فى عيون الأحاديث الصحاح . يشتمل على أحاديث الصحيحين ، فى ٤٨ جزءا

نهاية المراد ، من كلام خير العباد . فى السنن ، نحو ٢٠٠ جزء . لم يبيضه

اليواقيت . فى مجلد

تحفة الطالبين فى الجهاد والمجاهدين

الآثار المرضية ، فى فضائل خير البرية . أربعة أجزاء

الروضة . أربعة أجزاء

الذكر . جزآن

الاسرار . جزآن

التهجد . جزآن

الفرج . جزآن

محنة الامام أحمد . ثلاثة أجزاء

ذم الرياء . جزء كبير
ذم الغيبة . جزء ضخم
الترغيب فى الدعاء . جزء كبير
فضائل مكة . أربعة أجزاء
الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . جزء
فضائل رمضان . جزء
فضائل عشر ذى الحجة . جزء
فضائل الصدقة . جزء
فضائل الحج . جزء
فضائل رجب . جزء
وفاة النبى ﷺ . جزء
الأقسام التى أقسم بها النبى ﷺ . جزء
كتاب الأربعين . جزء
كتاب الأربعين من كلام رب العالمين . جزء
كتاب الأربعين بسند واحد . جزء
كتاب الأربعين . آخر غير ما تقدم . جزء
اعتقاد الامام الشافعى . جزء كبير
الحكايات . سبعة أجزاء
أحاديث وحكايات كان يقرأها فى المجالس تزيد على مائة جزء
غنية الحفاظ فى تحقيق مشكل الألفاظ . فى مجلدين
الجامع الصغير ، لأحكام البشير النذير . لم يتمه
كتاب على صفة (من صبر ظفر) . كتب منه خمسة أجزاء ولم يتمه
ذكر القبور . جزء
مناقب عمر بن عبد العزيز . كلها بالأسانيد
الأحكام ، على أبواب الفقه . ستة أجزاء
العمدة فى الأحكام . مما اتفق عليه البخارى ومسلم . جزآن
درر الأثر . على حروف المعجم . تسعة أجزاء

سيرة النبي ﷺ . جزء كبير

الاقتصاد فى الاعتقاد . جزء كبير

النصيحة ، فى الأدعية الصحيحة . جزء

تبيين الإصابة ، لأوهام حصلت فى « معرفة الصحابة » نقد لكتاب أبي نعيم الاصبهانى . فى جزء كبير

حليته . وثناء الأكابر عليه :

كان رحمه الله ليس بالأبيض الأمهق ، بل يميل الى السمرة ، حسن الشعر ، كث اللحية ، واسع الجبين ، عظيم الخلق ، تام القامة ، كأن النور يخرج من وجهه . وكان قد ضعف بصره من كثرة البكاء والنسخ والمطالعة

قال الحافظ ضياء الدين : سألت خالى الإمام الموفق عن الحافظ ، فكتب بخطه وقرأته عليه :

« كان جامعا للعلم والعمل . كان رفيق فى الصبا ، وفى طلب العلم ، وما كنا نستبق الى خير إلا سبقنى إليه ، إلا القليل . وكمل الله فضيلته بابتلائه بأذى أهل البدعة وعداوتهم إياه وقيامهم عليه ، ورزق العلم وتحصيل الكتب الكثيرة ، إلا أنه لم يعمر حتى يبلغ غرضه فى روايتها ونشرها . رحمه الله تعالى »

وكان العماد أخو الحافظ يقول : ما رأيت أحدا أشد محافظة على وقته من الحافظ عبد الغنى

وقال له الامام نجم ابن الامام عبد الوهاب ابن الامام أبى الفرج الحنبلى ـ وقد حضر مجلس الحافظ ـ : يا تقى الدين ، والله لقد جلت الاسلام ، وأقسم ـ والله ـ لو أمكننى ما فارقت مجلسا من مجالسك

وقال له الحافظ عبد القادر الرُّهاوى : سمعتَ وسمعنا ، وحفظتَ ونسينا

وقال أبو عبد الله محمد بن أميرك الجوينى المحدث : ما سمعت الحافظ السلفى يقول لأحد « الحافظ » إلا لعبد الغنى المقدسى

وقال أبو محمد عبد العزيز بن عبد الملك الشيبانى بمرو : سمعت أبا اليمن تاج الدين الكندى يقول : لم يكن بعد الدارقطنى مثل الحافظ عبد الغنى

وقال أبو الثناء محمود بن همام الانصارى : سمعت التاج الكندى يقول : لم ير الحافظ عبد الغنى مثل نفسه

وذكر ابن النجار فى تاريخه عن يوسف بن خليل أن التاج الكندى قال : رأيت ابن ناصر وأبا العلاء الهمدانى وغيرهما من الحفاظ ، فما رأيت أحفظ من عبد الغنى المقدسى

وقال الامام أبو نزار ربيعة بن الحسن اليمنى الشافعى : رأيت الحافظ السلفى ، والحافظ أبا موسى ، وكان الحافظ عبد الغنى أحفظ منهما . ذكر ذلك الامام الفقيه مكى بن عمر المصرى فى كتاب خاص ألفه فى فضائل الحافظ عبد الغنى

أما سيرة الحافظ عبد الغنى المبسوطة فهى التى كتبها الحافظ ضياء الدين فى مجلدين . ومن قوله فيه : ما أعرف أحدا من أهل السنة رأى الحافظ عبد الغنى إلا أحبه حبا شديدا ، ومدحه مدحا كثيرا

قال ابنه الحافظ أبو موسى : كنت عند والدى وهو يذكر فضائل سفيان الثورى ، فقلت فى نفسى : إن والدى مثله ، فالتفت الىّ وقال : أين نحن من أولئك ؟

وقال الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار المقدسى : سمعت الحافظ يقول : سألت الله أن يرزقنى مثل حال الامام أحمد ، فرزقنى صلاته . قال : ثم ابتلى بعد ذلك وأوذى

مرضه ووفاته :

حدث ابنه الحافظ أبو موسى قال : مرض والدى رحمه الله فى ربيع الأول سنة ٦٠٠ مرضا شديدا منعه من الكلام والقيام ، واشتد به ستة عشر يوما ، وكنت كثيرا ما أسأله : ما تشتهى ؟ فيقول : اشتهى الجنة ، أشتهى رحمة الله . فلما كان يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الاول جئت اليه ، وكان عادتى أبعث من يأتى كل يوم بكرة بماء حار من الحمام يغسل أطرافه ، فلما جئنا بالماء على العادة مد يده ، فعرفت أنه يريد الوضوء ، فوضأته وقت صلاة الفجر ، ثم قال : يا عبد الله ، قم فصل بنا وخفف . فقمت فصليت بالجماعة ، وصلى معنا جالسا . فلما انصرف الناس جئت فجلست عند رأسه ، وقد استقبل القبلة ، فقال لى : اقرأ عند رأسى سورة يس ، فقرأتها ، فجعل يدعو الله وأنا أؤمن . ثم قلت : ها هنا دواء قد عملناه ، تشربه ؟ فقال : يا بنى لم يبق إلا الموت . فقلت : ما تشتهى شيئا ؟ قال : اشتهى النظر الى وجه الله تعالى . فقلت : ما أنت عنى راض ؟ قال : بلى والله ، أنا عنك راض وعن إخوتك ، وقد أجزت لك ولإخوتك ولابن أختك ابراهيم

أوصانى عند موته : لا تضيعوا هذا العلم الذى تعبنا عليه ، يعنى الحديث . فقلت : عى بشىء ؟ قال : مالى على أحد شىء ، ولا لأحد على شىء . قلت : توصينى بوصية ؟ يا بنى أوصيك بتقوى الله ، والمحافظة على طاعته . وما زال يحرك شفتيه بذكر الله بعينيه . فقمت لأناوله كتابا من جانب المسجد ، فرجعت وقد خرجت روحه . يوم الاثنين الثالث والعشرين من شهر ربيع الاول من سنة ستمائة . وبقى ليلة الثلاثاء سجد ، واجتمع فى الغد خلق كثير ، ومن الأئمة والأمراء مالا يحصيهم إلا الله عز . ودفناه يوم الثلاثاء بالقرافة ، مقابل قبر الشيخ أبى عمرو بن مرزوق ، فى مكان كان ويبكى فيه الى أن يبل الحصى ويقول : قلبى يرتاح الى هذا المكان . رحمه الله ورضى ألحقه بنبينا محمد ﷺ

ال الحافظ الضياء : أنشدنا اسماعيل بن ظفر قال : أنشدنا أبو نزار ربيعة بن الحسن افظ عبد الغنى :

يا أصدق الناس فى بدو وفى حضر ... وأحفظ الناس فيما قالت الرسل
إن يحسدوك فلا تعبأ بقائلهم ... هم الغثاء وأنت السيد البطل

ترجمة الشارح

تقي الدين محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري
أبي الفتح المعروف بابن دقيق العيد[1] القوصي

٦٢٥ — ٧٠٢

عن تذكرة الحفاظ ، والدرر الكامنة ، والطالع السعيد ، وطبقات الشافعية والبداية والنهاية ، وشذرات الذهب ، وفوات الوفيات ، وشجرة النور الزكية

ملخصاً بقلم محبّ الدين الخطيب

نشأته وشيوخه :

ولد في يوم السبت ٢٥ شعبان سنة ٦٢٥ ، في سفينة شراعية كانت تمخر في مياه بحر القلزُم (البحر الأحمر) على مقربة من ثغر ينبع ، بينما كان والداه في طريقهما الى الحجاز للحج[2] . فلما بلغوا بيت الله الحرام أخذه والده على يده وطاف به ، ودعا له أن يجعله الله عالما عاملا

ونشأ في طلب العلم ، متحليا بمكارم الأخلاق ، في رعاية أبيه العالم الفاضل مجد الدين علي بن وهب القشيري القوصي . وابتدأ بقراءة كتاب الله الحكيم على والده ، ومنه تلقى مبادئ العلوم الشرعية والعربية . ومن أول من أخذ عنهم في قوص القاضي بهاء الدين هبة الله بن عبد الله العذري القفطي — من تلاميذ والده — وكان ابن دقيق العيد يقول عنه :

---

(١) روى كمال الدين جعفر بن ثعلب الأدفوي في ترجمة مجد الدين والد الشيخ أن سبب تسمية جده « دقيق العيد » أنه كان عليه يوم عيد طيلسان شديد البياض ، فقال بعضهم : كأنه دقيق عيد ، فلقب به

(٢) ولأنه ولد في ثبج البحر كان ينسب نفسه أحيانا « الثبجي » ، قال الكمال الادفوي : رأيته بخطه